جامعة ابن طفيل

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القنيطرة **مسلك الفلسفة**

الفصل الخامس

التدريس عن بعد الدورة الخريفية

الموسم الجامعي 2020-2021

الأستاذة أمال ابريطل

وحدة الفلسفة الأخلاقية

المحاضرة الرابعة

في المحور الثاني : أخلاق الواجب عند ايمانويل كانط

الجزء الأول

أخلاق الواجب عند إيماويل كانط

مدخل عام

إن هذه النظرة المعيارية لمفهوم الخير، كما جاءت عند أرسطو ومعاصريه من اليونانيين،الذين اعتبروا السعادة هي الخير الأسمى التي تتشوق إليها القوة العاقلة،جعلت من السعادة معيارا عاما للأخلاق. كما حكمت النظرة الأرستقراطية للعدل المتجلية بوضوح في محاورة أفلاطون وكذا في تحليل أرسطو للعدل على الإنسان بما فطر عليه بالطبيعة،إذ ميز أفلاطون بين الأسياد والعبيد،وخص أرسطو توزيع الألقاب والمكافآت بذوي الكفاءات من الأسياد. هكذا تضمنت قيمة العدل اللاعدل في المجتمع اليوناني، وأُسست المساواة على اللامساواة الطبيعية بين البشر. فهل هذه النظرة المعيارية للخير والعدل تتناسب وما كان يطمح إليه المجتمع الغربي الحديث من خير؟ وهلُ يستصاغ العدل في المجتمع الحديث دون تحقق المساواة بين البشر على أرض الواقع ؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه من خلال نظرية الواجب عند ايماويل كانط .

1 -الخير الأسمى عند إيمانويل كانط

يشير كانط في تحليله لمفهوم الخير الأسمى إلى ما أقرته كلتا المدرستين اليونانيتين: الأبيقورية والرواقية،حيث اعتبر أبيقور أن مبدأ اللذة هو أساس الطبيعة الإنسانية،وأن السعادة هي الخير الأسمى،فالإنسان إذا وعى بالمسلمة التي تقود إلى السعادة يكون إنسانا فاضلا.في المقابل يعتبر الرواقي أن وعي الإنسان بفضيلته هو الذي يجعله إنسانا سعيدا ،فيؤكد كانط ذلك **بقوله " لقد أقر الرواقي أن الفضيلة هي الخير الأسمى بأكمله،وأن السعادة ليس سوى الوعي بامتلاكها على أنها تخص حال الذات.وأقر الابيقوري أن**

السعادة هي الخير الأسمى بأكمله وان الفضيلة ليست سوى المسلمة للسعي وراء الحصول عليها أي في الاستعمال العقلي للوسائل التي توصل إليها "[1].

وقد أوضح كانط ان هاتين المدرستين انصب بحثهما على تماهي مفهومين وهما مفهوم السعادة ومفهوم الفضيلة ومدى اتحادهما في مفهوم واحد وهو الخير الأسمى،وهذا الاتساق في نظر كانط إما انه اتساق منطقي،ناتج عن تماهي المفهومين،او اتساق واقعي حسب قانون العلية،على أساس أنهما مختلفان بالضرورة وأن الفضيلة علة السعادة،وهو ترابط العلة بالمعلول.

في حين يرى كانط أن الفضيلة والسعادة مفهومان متباينان،بالرغم من أنهما تصبوان لجعل الخير الأسمى ممكنا،غير أنهما لم تتوفقا في ذلك لأنهما عنصران مختلفان عن الخير الأسمى. وبالنظر في دلالة مفهوم "الأسمى" ينبه كانط إلى أن هناك لُبس في معنى هذا المفهوم،لأنه قد يدل على معنى "الأعلى" " supremum " أو يدل على معنى "الكامل" "consummatum" غير أن هذين المصطلحين يختلفان من حيث الدلالة ومن حيث المدلول،ولذلك وجب التنبيه لهذا اللبس أو هذا الاشتراك في المعنى الذي قد يقع فيه البعض.فمفهوم "الأعلى" يعني الشرط غير المشروط،والمقصود به الأصل الذي لا يكون تابعا لأي شرط آخر " originarium " .أما المقصود "بالكامل" فهو الكل الذي ليس جزءا من كل أكبر منه،أي هو من النوع نفسه "perfectissimum "[2].

فإن أخذت الفضيلة كشرط أعلى لبلوغ السعادة،فإن امتلاك الخير الأسمى بصفة مطلقة غير ممكن لأن السعادة تتوقف على درجة استحقاق كل فرد.فقد يكون الإنسان جدير بالسعادة لما يتحلى به من فضائل ومع ذلك لا يكون سعيدا.أما الدلالة الثانية والتي هي الخير كله أو الخير الكامل فمعناه أنه لا شرط لها أكمل منها،غير أن السعادة لا تكون في

---

[1] - كانط، نقد العقل العلمي ،ت، غانم هنا ،ص، 202.
[2] - المرجع السابق،ص، 200.

جميع تجلياتها خيرا فيشترط أن يكون لها شرط أخلاقي أكمل . فهل يمكن اعتبار السعادة مبدأ عاما للأخلاق؟

لقد رفض كانط القول بأن السعادة التي هي الخير الأسمى مبدأ عام للأخلاق، بل اعتبره خطأ وقع فيه أرسطو ومعاصروه مثل أفلاطون و أبيقور،يعود في الأصل إلى أن هؤلاء الفلاسفة لم يبحثوا عن مصدر وأصل الشعور باللذة أو الألم،إنما كان انشغالهم بكم ومقدار ومدة دوام هذه السعادة دون البحث عن مصدرها، ومعرفة ما إذا كان في الحواس أم في الفهم. لذا يُبدي كانط تعجبه بقوله " **لا يسعنا إلا أن نتعجب من أن رجالا هم في ما تبقى ثاقبوا الفكر، يعتقدون أن باستطاعتهم العثور على فرق بين ملكة الرغبة الدنيا والعليا في أن التصورات المرتبطة بالشعور باللذة لها مصدرها في الحواس أو في الفهم** "[3] .

وقد برر كانط رفضه لاعتبار السعادة مبدأ عام للأخلاق،و كذا كونها الخير الأسمى الذي تتشوق إليه القوة العاقلة وذلك بحجتين:

– الحجة ألأولى: أن السعادة مبدأ ذاتي تجريبي،تختلف باختلاف الذوات وليست مبدأ موضوعيا،بل حتى في الذات الواحدة قد تختلف السعادة باختلاف الحاجات وتتغير بتغيرات هذا الشعور.

– الحجة الثانية: عدم توفر الضرورة الموضوعية التي يجب أن يتضمنها كل قانون أو مبدأ عام، والتي تعرف قبليا،فلا تؤخذ السعادة إلا كمسلمة للذات وليست بمثابة قانون عام،ومن ثمة لا تصلح أن تكون قانونا أخلاقيا.

فلأن الإنسان كائن عاقل وفان، لذا سعيه يكون دائما للتلذذ والتمتع بأكبر قدر ممكن من ملذات الحياة وطيباتها،امتثالا لما فرضته عليه طبيعته المتناهية،وأي شعور باللذة أو بالألم لا يمكن للإنسان أن يدركه إلا بالتجربة وليس بمعرفة قبلية سابقة عن التجربة،لذا فهو شعور

---

[3] كانط، نقد العقل العملي ،ت،غانم هنا،ص،70-71.   -

فاقد للموضوعية من منظور كانط حيث يقول " **لكن الآن إن وعي كائن عاقل بطيبات الحياة المرافقة لوجوده بلا انقطاع هي السعادة، والمبدأ الذي يجعل من هذه السبب المعين الأعلى للتحكم هو مبدأ حب الذات، فإذن إن جميع المبادئ المادية التي تضع السبب المعين للتحكم في اللذة أو الألم في أن يشعر بها في حقيقة موضوع ما، هي جميعها من نوع واحد، بوصفها تنتهي من دون استثناء إلى مبدأ حب الذات أو إلى السعادة الشخصية**"[4].

إن افتراض وجود هذا الشعور بالسعادة باتفاق أو إجماع فئة من الناس،فإنه في نظر كانط يبقى عارضا فقط مثل فعل التثاؤب الذي نميل إليه كلما رأينا آخرين يتثاءبون،وهي مجرد ضرورة طبيعية،إذن فالمسلمات التي هي موضوع ومادة لملكة الرغبة [5]،التي تكون سببا لتعيين الإرادة ، هي تجريبية حسية ولا يمكن أن تكون قوانين عملية،فالعلة في الشعور بالسعادة ستظل ذاتية وتجريبية مهما ارتفعت نسبة الاتفاق حولها.ولكي تكون قانونا أخلاقيا يجب أن تكون معروفة قبليا بواسطة العقل وليس بواسطة التجربة.

إن تصور أي شئ ممتع مقترن بطبيعة الحس الداخلي وليس بالفهم أو القوة العاقلة، بما فيها لذة المعرفة التي اعتقد فلاسفة اليونان أنها مرتبطة بالفهم وليس بالشعور، غير أن هذا التصور في نظر كانط يتوقف على ذات الشخص ومدى تحقق هذا الشعور باللذة أو بالألم فيه كذات، وبالتالي لا يمكن للسعادة الشخصية حتى وإن اقترنت بالفهم أن تصبح قانونا أخلاقيا . فهل يمكن لهذا الشعور الطبيعي أن يرقى إلى مرتبة القانون الأخلاقي ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال أوضح كانط أن الشعور الطبيعي نوعان :

أ –شعور طبيعي خاطئ

ب – شعور أخلاقي متعالي

[4] كانط، نقد العقل العملي،ت، غانم هنا ، صن 70. -

[5]ملكة الرغبة هي قدرة الإنسان نفسه على أن يكون بتمثلاته سبب حقيقة موضوعات هذه التمثلات -

يمثل الصنف الأول شعور الفرد الطبيعي ورغبته الذاتية، شعور لا يمكن أن يكون موجها أخلاقيا، إلا إذا اتحد بالعقل والتزم بالقانون الأخلاقي،فالشعور الطبيعي الخاطئ يتسم بسمات الأنانية و حب الذات والغرور وغيرها من السمات التي تتعارض ومبادئ القانون الأخلاقي، ولكي يصبح الشعور الطبيعي شعورا أخلاقيا لابد أن يتعالى عن هذه الرغبات الدنيا، ليتحلى بصفة الاحترام للقانون الأخلاقي و يرقى إلى مرتبة الشعور الأخلاقي المتعالي الذي يمثل الصنف الثاني .

وإذا كان الحس أو الشعور لا يمكن عده مصدرا للقانون الأخلاقي الموضوعي،فما مصدر هذا القانون الأخلاقي ؟

إن العقل المحض حسب كانط وحده القادر على اختبار هذه المبادئ والمسلمات الذاتية من غير موجه أو مؤثر،فالعقل يقوم بالبث فيما إذا كانت هذه المسلمات تصلح أو لا تصلح كقانون عملي مشرع لكل الكائنات العاقلة ،" **فالعقل هو الذي يعين الإرادة مباشرة في قانون أخلاقي،ليس بواسطة شعور باللذة أو بالألم يدخل بينهما،ولا حتى في هذا القانون،وأن العقل كونه عقلا محضا يمكنه أن يكون عمليا،فهذا وحده ما يمكنه من أن يكون مُشرعا** " [6].

فعقل الإنسان حسب كانط قادر لذاته على التمييز بين صور المسلمات الصالحة لتشريع قوانين كلية شاملة وبين صور المسلمات التي لا تصلح لذلك،ولكن كيف يتم الوعي بذلك القانون الأخلاقي ؟

إن الإنسان ككائن عاقل يمتلك إرادة ذاتية توجه أفعاله وسلوكاته،ولكي يستنبط أفعاله من القوانين فإنه يحتكم إلى العقل،فإذا تمكن العقل من تعيين الإرادة تعيينا تاما، يكون الفعل موافقا للعقل"**أي أن الإرادة ملكة اختيار ذلك الفعل وحده الذي يعرف العقل مستقلا عن**

[6] -كانط نايمانويل،نقد العقل العملي، ت، غانم هنا،ص،74.

الميول والنوازع،أنه ضروري من الناحية العملية أي أنه خير،فإذا لم يتمكن العقل وحده من تعيين الإرادة تعيينا كافيا،فمعنى هذا أن الإرادة ما تزال تخضع لشروط ذاتية (أو لبعض الدوافع)التي لا تتفق دائما مع الشروط الموضوعية؛وبالجملة فإنه إذا كانت الإرادة في ذاتها لا تتفق مع العقل اتفاقا تاما (كما هو الحال مع بني الإنسان) فإن الأفعال التي تعرف من الناحية الموضوعية بأنها أفعال ضرورية تكون عندئذ من الناحية الذاتية أفعالا عارضة".[7]

يستخلص كانط مما سبق أن القانون الأخلاقي هو المبدأ الوحيد المعين للإرادة المحضة،وبما أنه قانون مشرع لكل كائن عاقل،المعين للإرادة ،فإنه يجردها من كل موضوع، وقد يكون الخير الأسمى هو الموضوع الكامل للإرادة المحضة للعقل العملي وبالرغم من ذلك لا يمكن اعتبار هذا الخير الأسمى المبدأ المعين للإرادة بل " **يجب أن ينظر إلى القانون الأخلاقي وحده على أنه المبدأ الذي يجعل الخير الأسمى وتحقيقه والإعلاء من شأنه موضوعا لها"**[8].

أما وإن كان القانون الأخلاقي متضمنا في مفهوم الخير الأسمى كشرط أعلى،فإنهما يشتركان معا في تعيين الإرادة المحضة.

هكذا خلص كانط في تحليله لمفهوم السعادة إلى أن هذا المفهوم لا يتضمن مفهوم الخير الأسمى،ولا يمكن أن يكون معيارا فاصلا بين الفضيلة والرذيلة،لأننا لا نستطيع أن نقيم الفعل والسلوك الإنساني إن كان أخلاقيا أم لا ، بالاحتكام إلى السعادة،فما يسعد البعض قد لا يسعد البعض الآخر،وما أسعد إنسانا في الماضي قد لا يسعده في الحاضر أو المستقبل،فالسعادة مصدرها الحس والشعور الداخلي للإنسان،الشعور المتقلب والمتغير.

[7] -كانط ، ايمانويل، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ،ترجمة عبد الغفار مكاوي ،ص،78.
[8] -كانط ، إيمانويل ،نقد العقل العملي ،ت،غانم هنا ،ص،196

وحتى تكون السعادة معيارا أخلاقيا كونيا،يجب أن تكون في نظر كانط مبدأ مطلقا مصدره الوحيد هو العقل،غير مشروط بأية رغبة من رغبات النفس الإنسانية.

لذا اعتبر كانط أن الإرادة الطيبة هي الشئ الوحيد الذي يمكن اعتباره الخير الأسمى،لأنه الخير غير المشروط بأي نزعة أو منفعة أو مصلحة شخصية،إنما هو امتثال للواجب الأخلاقي لذاته فقط.لكن مادام أن الفعل الخير لا يستلزم أن يكون واجبا،وما دام أن مفهوم الواجب لا يرد إلى مفهوم الخير،وليس مشتقا منه،معناه أنه ليست ثمة علاقة ضرورية بين الفعل المتسق مع الواجب والفعل الخير.